النص الأدبي بين الورقي والرقمي أسئلة البنية والجماليات

Literary text between paper and digital. Questions of structure and aesthetics

د. عمر عاشور*

تاريخ الإرسال: 2021/01/16	تاريخ القبول: 14 / 04 / 2021	تاريخ النشر: 30 / 06 / 2021

الملخص:

تحاول هذه الدراسة أن تستجلي الجماليات الفنية للنص الأدبي بين وجوده الورقي ووجوده الرقمي، أي حين يغادر حياته الورقية إلى حياته الرقمية الجديدة، ويصبح وجوده مرتبطا بوصلات وروابط الكترونية تدخله في تفاعلات مع نصوص وفنون لا يمكنه أن يتفاعل معها في عالمه الورقي. وهل هناك شعرية تخص النص الورقي وأخرى تخص النص الورقي؟ وما هي العناصر التي يفقدها النص حين يصبح رقميا؟ وماذا سيكتسب من عناصر في مقابل ذلك؟ وهل النص الرقمي يمكن أن يحافظ على بنيته وجمالياته حين ينتقل من عالم الرقمنة إلى عالم الورقة أم ان وجوده لا يمكن أن يتحقق إلا وراء زجاج الديجتال؟ ثم هل قضايا الملكية الفكرية تعود للمؤلف أم للمبرمج؟ كما يمكن التساؤول إن كانت فنية النص الرقمي مرتبطة بشعرية اللغة أم بسلطة التقانة وسطوتها؟

الكلمات المفتاحية: النص الرقمي، النص التفاعلي، النص المترابط.

Abstract:

This study tries to explore the artistic aesthetics of the literary text between its paper (foliar) and digital existence, that is, when it leaves its paper life to its new digital life, and its presence becomes linked to electronic links and that interfere with interactions with texts and arts that it cannot interact with in his paper world. Is there a poetry related to the paper text and another to the electronic text?.

المؤلف المرسل: عمر عاشور. ibnziban@hotmail.com

*المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة ibnziban@hotmail.com

What elements does the text lose when it becomes digital? And what will it gain from elements in exchange for that? Can the

digital text preserve its structure and aesthetics when it moves from the world of digitization to the world of paper, or is its existence only possible behind the glass of digital? Then are intellectual property issues the author or the programmer? It can also be asked whether the art of digital text is related to the poetry of the language or to the authority and power of technology?

***Keywords**: digital text, interactive text, linked text.*

*** *** ***

يطرح النصُ الأدبي، في ظل عصر الرقمنة، أسئلةً كثيرة وعميقة، فالوجودُ الورقي للنص يختلف عن وجوده الرقمي من حيث البناء والجماليات، بفعل تلك الروابط التكنولوجية والوصلات التي تدخله في تفاعلات مع أبنية وموضوعات أخرى، تفاعلات تتقاطع مع مفاهيم التناصوالحوارية وتداخل الأجناس الأدبية إلى حد ما، فتنْتجُعنها تعالقات وترابطات أدت إلى خلق مصطلحات مصطلحات عديدة لمفهوم الأدب الرقمي منها الأدب التعالقي والأدب الترابطي وهو مادفع**سعيد يقطين** إلى وضعها تحت مسمى واحد وهو الأدب التفاعلي" وعلى الرغم من التباين المسجل بين التعلق النصي والترابط النصي، فإننا نراهما معا يرتبطان بـ "التفاعل النصي"بوصفه مفهوما جامعا يتسع لمختلف التعالقات بين النصوص، سواء لفظية كانت أو غير لفظية، وسواء قُدّمت شفاهيا أو كتابيا أو إلكترونيا".[1]

أماالناقد الفرنسي **فيليب بوطز(Philippe Bootz)** -أحد المهتمين الأوائل المختصين في الأدب الرقمي- فيرى أنه اثناء استعمال نعت"الرقمي" في مفهوم «الأدب الرقمي» " يتم التشديد على خاصية بنيوية واحدة، وبذلك يتم تحديد هذا المجال الأدبي انطلاقا من مصطلح خاص بالتقنية المستخدمة كما هو الحال غالبا في الأسماء الفنية(الرسم والتصوير..). هذا لا يعني أن المصطلح السابق يلخص في حد ذاته خصائص هذا الأدب وتصوراته. ربما ليس في وسع أي كلمة أن تقوم بذلك"[2]. لذلك يحصي أحد النقاد أكثر من 15 مصطلحا للأدب الرقمي:

- الأدب الرقمي:**Littérature numérique**
- ألأدب التفاعلي: **Littérature interactive**
- النص السبيرنطيقي:**Cybertext**
- أدب الصورة أو الأدب الديجيتالي: **Littérature digitale**
- الأدب الالكتروني :**Littérature électronique**
- النص المترابط :**Hypertexte**
- الأدب الآلي:**Littérature technologique**
- الأدب الروبوتي:**Littérature robotique**
- الأدب المبرمج:**Littérature programmée**
- الأدب الحاسوبي:**La littérature par ordinateur**
- الأدب اللوغاريتمي:**Littérature logarithmique**
- الأدب الإعلامي:**Littérature Informatique**
- الأدب الويبي:**Littérature de Web**
- الكتابة الأنترنيتية:**Ecriture de l'Internet**
- الكتابة الفايسبوكية:**Ecriture par Facebook**
- أدب الشاشة:**La littérature sur écran**. [3]

من هنا يمكن أن نصل إلى أننا" نسمي«أدبا رقميا» كل شكل سردي أو شعري يستعمل الجهاز المعلوماتي وسيطا ويوظف واحدة أو أكثر من خصائص هذا الوسيط".[4]

لكنّهناك أحيانا خلطا بين الأدب الرقمي والأدب الالكتروني مما دفع الناقد **فيليب بوطز** إلى توضيح الحدود الفاصلة بينهما"إن الأدب الرقمي هو نتاج الحوسبة الإعلامية، وخاضع للبرمجة الإعلامية، ومنسجم مع الهندسة الداخلية للحاسوب، على أساس أن

الأدب الرقمي هو إنتاج إعلامي داخلي. في حين يعد الأدب الالكتروني إنتاجا إعلاميا خارجيا".[5]

أسئلة البنية والجماليات

إن التفاعل بين الأدب والرقمنة الذي فرضته الثورة التكنولوجية لعالم اليوم، بات يطرح عدة تساؤلات حول بنية النص الأدبي والجماليات الفنية المترتبة عن ذلك، لأن لكل بناء شكلا ولكل شكل جمالياته، كما يطرح هذا التفاعل تساؤلات حول مصدر جمالية النص الرقمي ومن هو الواقف وراء ذلك إذا كان المُرقمِن ليس هو الكاتبُ؟. وهل هناك قواعد تحكم عملية تحول النص من ورقي إلى رقمي؟ وأي الجماليتين(الورقية أو الرقمية) تسيطر على ذهن الكاتب وهو يكتب نصه؟

إن النص الذي كان في القديم يحفظ في الذاكرة البشرية، ثم صار يحفظ في ذاكرة الكتب (الورق) ثم اليوم في ذاكرة الحاسوب يدفع إلى التساؤل إن كانت جماليته اليوم جمالية قبلية يسعى الكاتب إلى تجسيدها كما في النص الورقي؟ أمهي جمالية بعدية أي تولد بعده،باعتبار أن التفاعلية هنا مرتبطة بالروابط التي يتم تزويد النص بها والروابط مرتبطة بثقافة "المخرج" الذي يأتي بعد الكاتب وبذائقته الجمالية، فرواية واحدة يمكن أن نضفي عليها عدة لمسات فنية أو فحوى فلسفية أو دينية بحسب الروابط التي نشدها إليها؟ لكن هذا لا يلغي مركزية الكاتب ونسبية المتلقي، وإلا أصبح المتلقي هو الكاتب"هل يتمتع المبحر في الرواية التشعبية بحرية كاملة وتفاعل مطلق؟ إنه يتمتع بحرية وتفاعل نسبيين، ويكفي القول إن مشاركته إبداعيا في الرواية بالكتابة والتغيير واقتراح الحذف والإضافة يظل رهين كاتب أصلي يحتفظ بحقه في القبول والرفض، وهذا يعني – على نحو ما – مركزية المبدع الأول، وأفضل هنا أن أصك له مصطلح "المبدع المركزي"[6].

وإذا كانت عملية شد النص إلى روابط إحالية تجعل النص يتمدد أو يتقلص نصيا(خاصة زمن القراءة)، كأن ندخل قطعة موسيقية مدتها 30 دقيقة أو نستعيض عن وصف من صفحتين للوحة تشكيلة برابط يعرضها في 10 ثوان، فإن هذه العملية التي تبدو متاحة في الرواية مثلا، تصبح في حالة الشعر غاية في التعقيد والاستحالة أحيانا وخاصة القصيدة العمودية نظرا لدقة بنائها.

وهل هذه الترابطات ذات وظيفة بنائية تمس بناء النص وبالتالي الجماليات المترتبة عن هذه البنائية أم وظيفية تفسيرية -تزيينية تعمل فقط على إضاءة الدلالة؟ ثم ألا يمكن أن تفسد هذه الروابط أفق انتظار المتلقي الذي هو أساس عملية التلقي؟.

وهل هذه الروابط هي بمثابة تناصات أو بمثابة إحالات مرجعية فقط، كما هو الحال مع الهوامش في النص الورقي؟وهل الجمالية الرقمية دوما تضفي جمالية إضافية على الجمالية الورقية؟ وهل محاولة إضفاء هذه الجمالية يمكن أن نأخذها في إطار التجريب أو تعتبر حكما على أن النص غير التفاعلي عاجز على أن يستوفي الإمكانيات المتاحة التي تتعلق بالجماليات؟

وتقودنا هذه الأسئلة إلى أسئلة أخرى تتعلق بالملكية الفكرية وحقوق التأليف حين تكون رقمية النص ليست راجعة للكاتب، وأي الجماليتين (الورقية أم الرقمية) يمكن للقارئ أن يتحسسها من النص؟

النص الرقمي: الماهية والخصائص

1-الماهية

النص الرقمي نص يكتب ورقيا أو الكترونيا ثم ينشر عبر الشبكة الالكترونية مرتبطا بروابط الكترونية، تجعل من المتلقي أحيانا مساهما في بنيته انطلاقا من النقطة التي ينطلق منها كبداية في قراءته، فهو حين يكون ورقيا يكون نصا واحدا، وحين يخرج من الورقية إلى الرقمية يصبح بمثابة عدة نصوص بحسب عدد البدايات الممكنة، وقد عرف بعدة تسميات أهمها:

أ-النص المتفرع **Hypertext**: النص المتفرع هو أحد الاقتراحات التي قدمت لترجمة المصطلح الأجنبي **(Hypertext)**إلى اللغة العربية، ومقترح هذه الترجمة هو الدكتور حسام الخطيب في كتابهّ حول الأدب والتكنولوجياالذي يعالج فيه هذا النص بوصفه وجها من وجوه الثورة التكنولوجية الحديثة على نحو ما، دارسا علاقته بالنظرية الأدبية والنقدية والشروحات في الثقافة العربية التراثية.[7] أما اليوم في عصر التكنولوجيا فإن «النص المتفرع» يعد جنسا أدبيا جديدا، يجمع بين الأدبية والإلكترونية بحسب بعض النقاد.

ب-النص الشبكي **Cybertext**

النص الشبكي هو مصطلح أطلقه **إسبنآرسيث(AarsethEspen)** وقصد به"النص المتاهة" وهو "نوع من النصوص الصعبة التناول على القارئ المستعجل، تستدعي قراءة تفاعلية، ومشاركة فعّالة من قبل الملتقي/ المستخدم".[8] ويمكن لهذا النوع من النصوص أن يتأتى ورقيا كما يمكن أن يتأتى لمتلقيه الكترونيا.[9]

وبيّن**آرسيث** بشكل قاطع أن التمييز بين النص الورقي والنص الالكتروني غير مجد تماما"ففي كثير من الحالات تكون بعض النصوص الورقية أقرب إلى النصوص الالكترونية منها إلى غيرها من النصوص الورقية والعكس بالعكس. ومن هنا يفضّل **آرسيث** الكلام على (النصية الشبكية **cybertextuality**) التي يعرفها بأنها منظور يتعلق بالنص نفسه، بغض النظر عن الوسط الذي يحمله، فإذا استعان النص بوظائف التشكيل والكتابة فإنه حينئذ(نص شبكي)، وفي المقابل إذا كان النص الالكتروني

لايسمح للمتلقي/ المستخدم بالاستعانة سوى بوظيفة (التأويل)، من بين الوظائف المميزة والمتاحة له، فإنه لايختلف عن النصوص الورقية التقليدية".[10]

ويعتبر النص التشعبي هو المصطلح الأكثر شيوعا في أمريكا نظرا لتركيز مقاربات الأمريكيين على المفهوم، بخلاف ماعليه الأمر في أوربا، فهم يدرجون ضمن النص التشعبي أعمالا أدبية رقمية لاتقوم بنيتها أساسا على التشعب. كما يعد اليوم اصطلاح "الأدب الرقمي" أو "الأدب الديجتالي"(مصطلح أنجليزي أو ألماني- يترجم برقمي) الأكثر استعمالا في أوربا، علما أنه يمكن استخدام مصطلحات أخرى رغبة في التشديد عل بعض ملامح الأعمال[11].

إن الأدب الشبكي يشير صراحة إلى الأعمال المنشورة في الشبكة، وبالتالي يقصي بكل أسف الأعمال المنشورة خارجها كالأقراص المدمجة واللوحات، كما يقصي كل الأعمال التي ظهرت قبل الأنترنت.وحين يراد التركيز على النص أثناء عملية القراءة فيفضل استعمال الأدب التفاعلي الذي ابتكره **اسبنانارسيث** في كتابه "النص الشبكي".[12]

وعليه فإن النص المترابط أو المتشعب" يتحقق من خلال الحاسوب، وأهم ميزاته أنه غير خطي، لأنه يتكون من مجموعة من العقد أو الشذرات التي يتصل بعضها ببعض بواسطة روابط مرئية. ويسمح هذا النص بالانتقال من معلومة إلى أخرى، عن طريق تنشيط الروابط التي بواسطتها نتجاوز البعد الخطي للقراءة، لأننا نتحرك في النص على الشكل الذي نريد".[13]

2-الخصائص

يعد النص الرقمي نصا مفتوحا على نصوص ومعارف أخرى، مما يجعل بنيته غير ثابتة وبالتالي يصعب تفكيكه وتحديد دلالته"يعد النص التفاعلي نص مفتوحا بلا حدود، فالمؤلف يبدأ النص ومستخدمو الرقمنة لهم حرية أكماله كما يشاؤون".[14] أي أن المتلقي يصبح مشاركا في الملكية الفكرية للنص التفاعلي، بمعنى إلغاء فكرة المؤلف الوحيد، وإلغاء الحدود بين طرفي العملية الإبداعية (المبدع/المتلقي) يلغي كذلك الحدود

بين النص والأجناس والفنون وحتى العلوم بحسب ثقافة ومعارف المتلقي الذي يمكنه أن "يختار نقطة البداية لدخول النص، والاختلاف في اختيار البدايات يؤثر حتما على سيرورة الأحداث وبالتالي على بناء النص،وحين تتعدد البدايات تتعدد النهايات وهو ما يمكّن قراء النص المترابط من أن يدخلوا في حوارية أثناء القراءة، ومن أمثلة ذلك رواية "**لا أشجار ميتة**":[15] حيث يعتبر الدخول عبر الضغط على خانة شخصية من الشخصيات كبداية، بمثابة نص يختلف عن النصوص التي تترتب عن الدخول عبر شخصيات أخرى:

Pick a character, pick a direction

WHAT'S NEW					
Take a Random Leap into the Novel					
Cheyanne	The Sentient		Teler's Diaries		John Dee
Monica	Sigiddur	Hakim	Abduhl	Veronique	Teler
Solstacsi	Carmilla	Daniel	Meriam	Alexandra	Hoppy
Joseph	Aileesha	Demon Ke/ock	Lydia	Lord Wraith	Maude
The Character Search Engine					

[واجهة النص الروائي التفاعلي (No Dead Trees)، وتظهر فيها أسماء الشخصيات، وعلى كل متلقٍ/ مستخدم أن يختار البدء من الشخصية التي يريد]

إن تعدد البدايات التي يتيحها هذه الرواية التفاعلية تجعلنا أمام قراءات متعددة وكل قراءة هي بمثابة كتابة جديدة أي أن النص الرقمي التفاعلي نص متعدد الكتّاب وكل قارئ هو بمثابة كاتب جديد، لكن هل هذا القارئ محكوم إلى قواعد يضعها الكاتب المركزي أم أنه يعيد كتابة النص كما يفعل الكاتب المركزي، كما لو أنه يخلقه لأول مرة؟:[16]

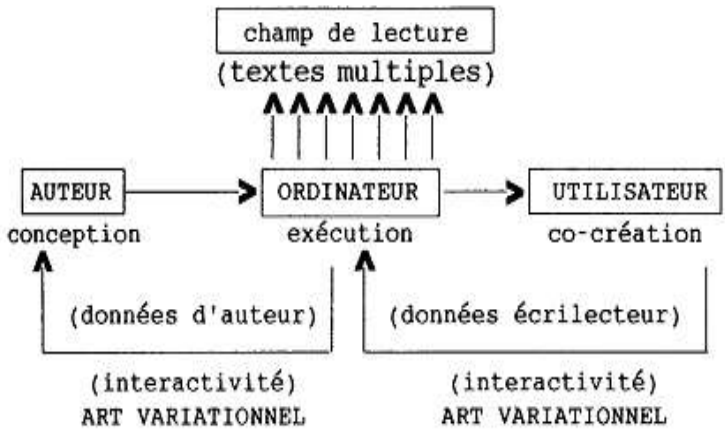

وهكذا يصبح القارئ كاتبا يعيد إنتاج النص انطلاقا من البداية التي يختارها، ليتلقى الكاتب نصه من جديد باعتباره متلقيا، وهكذا تحدث التفاعلية بين الكاتب والقارئ كما حدثت بين الورقية والرقمية:

النص التفاعلي: الكاتب يصبح متلقيا والمتلقي يصبح كاتبا

أبعد من هذا أنه"يمكن لقارئ نفس النص أن يحقق مع كل قراءة نصا مترابطا لا يشبه النص السابق. وهنا يدخل فعل التفاعل باعتباره تقنية وظيفية في القراءة".[17] إلا أن القارئ يبقى محكوما بروابط ليست له القدرة على تعديلها، حتى وإن كانت له الحرية في إعادة ترتيب بناء النص، معنى هذا أن حرية القارئ تبقى نسبية تخضع إلى مجال

التأليف ونسقه"[18]، بل أن القدرة على تنشيط الروابط تحتاج من القارئ إمكانيات نفسية وذهنية وثقافية واجتماعية. وحتى تنويع اختيار البداية يحتاج تخييلا واسعا.[19]

الأدب الرقمي عربيا

يعد الحديث عن أدب رقمي عربي حديثا ذا شجون كون التخلف التكنولوجي وانحصار هامش الحرية حالا دون ظهور هذا النوع من الأدب، إلا أن هناك محاولات فردية تعد رائدة فعلا، فعلى مستوى القصيدة يعتبر الشاعر العراقي **مشتاق عباس معن** أول من كتب قصيدة تفاعلية رقمية عربية (تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق) التي أصدرها عام 2007،باعتمادها على الصوت والصورة ونظام الترابط النصي،ويتم ولوجها بطريقين الأول خط عمودي ممثَّل بأيقونتين تحملان عبارة «اضغط فوق ضلوع البوح»،وبالضغط،يحصل المبحِر على خيار شعري يميزه بوح خاص عبر مقطع شعري،ويحيل النص على نصوص أخرى.[20]

أما الطريق الثاني فعبر خمس أيقونات مصفوفة على الواجهة رأسياً كُتب عليها بالتسلسل: [أيقنتُ،أنّ،الحنظل،موت،يتخمر]. وكل كلمة تنضوي على نص شعري ينفتح بالنقر عليه، وهو ما يبرزه الشكل التالي:[21]

وهي التجربة التي أثراها سنة 2017 بقصيدة رقمية ثانية"متناهيات الجدار الناري".

أما سرديا فيعد الروائي الأردني **محمد سناجلة**(ولد عام 1968) رائد الرواية الرقمية في أدبنا العربي، حيث له ثلاث روايات(ظلال الواحد، شات، صقيع) ذات نمط رقمي يوظف الوسائط التي تنتجها الأنترنت من صور وصوت وعقد وأدخلها في البنية السردية للرواية[22]، وهي رواية تشعبية بامتياز تعبر عن ثقافة العصر الرقمي الذي يمنح فضاءات رحبة للحرية إلا أن الفرد العربي"يدخل هذا المجال مع ضغف ثقافة تدبير الحرية"[23]، رغم أن هذه الممارسة التي تمنحها الوسائط التكنولوجية تتولد عنها ممارسة للحرية في أبعد حدودها"بما فيها حرية المبادرة والاختيار والكتابة والتعليق... والنقاش والتواصل اللامفتوح، مع ثقافات وحضارات وتجارب في الحياة وحرية الحوار.."[24].

خاتمة

إن الأدب الرقمي هو ذلك النص الذي يفقد بنيته خارج العالم الرقمي، ذلك أن بنية هذا النص المرتبط بوصلات الرقمنة ستختلف عن بنيته لو تم تجريده منها بجعله نصا ورقيا مثلا، وبما أن لكل قارئ عادات قرائية ، فإن القارىء الرقمي لاشك أن لديه أفق انتظار يختلف عن نظيره القارئ الورقي، مما يجعل الواحد منهما يصل إلى دلالات وجماليات ليست هي نفسها رغم أن النص واحد، إلا أن المنطق الذي يقوم عليه النص في عالمه الورقي ليس هو المنطق نفسه في عالمه الرقمي، فلكل عالمه منطقه من حيث التراتب والتعاقب والتسلسل حين يتعلق الأمر ببناء الأحداث، كما هو الحال في السرديات، أو بناء الصور الفنية في حالة النص الشعري.

الهوامش

1-سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط/مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي. المركز الثقافي العربي. المغرب.ط1.2005.ص6

2- فيليب بوطز: مالأدب الرقمي؟ ترجمة: محمد أسليم. علامات.مجلة ثقافية محكمة.المغرب.ع35. ص108

3- جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق.ص 12 على الرابط:
http://www.arab-ewriters.com/booksFiles/12.pdf le 12/02/2019

4- فيليب بوطز: مالأدب الرقمي؟ ص103

5- نفسه: ص103

6- سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط .ص5
7- حسام الخطيب: الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرّع Hypertext. . مركز حنين للخدمات الجامعية. رام الله/ فلسطين. ط3. 2018.ص116
8- نفسه: ص116
9- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي. المركز الثقافي العربي. المغرب.ط1. 2006. ص29
10- نفسه: ص29
11- فيليب بوطز: ما الأدب الرقمي؟ .ص108
12- نفسه.ص108
13- سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط .ص265
14- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي ص50
15- نفسه: ص52
16https://www.olats.org/livresetudes/basiques/litteraturenumerique/10_basiquesLN.php.15/02/2019
17- زهور كرام: الأدب الرقمي/ أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية. رؤية للنشر والتوزيع.مصر. ط1. 2009. ص46/47
18- نفسه: ص41
19- نفسه: ص42
20-كلثوم زنينة: النص الأدبي من الشفهية إلى الرقمية/رؤية في المفهوم والمرجعية والآفاق النقدية.ماجستير. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة سطيف.2010/2009.ص39
21- نفسه:ص87
22-نفسه: ص40
23- زهور كرام: الأدب الرقمي.ص41
24- نفسه: ص42

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊